سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾:

تنديدة شديدة موجهة إلى هؤلاء المتخلفين في مثلثه، بعد أمر الرسول ﷺ بالإعراض عنهم، فقد يُعرض عليهم الاحتكام إلى القرآن نفسه بعدما عارضوا الرسول ﷺ وليعرفوا الطاعة الصالحة غير المفرَّقة، وذلك من البراهين الواضحة على أصالة القرآن وفرعية السنة أولاً، وعلى إمكانية تفهّم القرآن حتى لهؤلاء الثلاثة فضلاً عن المؤمنين الواقعيين.

ذلك! فحكم التدبر في القرآن عام يشمل كافة المكلفين به شريطة معرفة لغته وإمعان النظر في معانيه ومغازيه.

ومما ينتجه التدبر في القرآن هو ربانية آياته البينات بأسرها لمكان التلاؤم التام بينها دون تفاوت لفظياً ولا معنوياً ولا واقعياً ولا في أي حقل من حقول الحق المرام.

أجل والتناسق الطليق الرفيق الرقيق والعميق هو الظاهرة الباهرة التي لا يخطئها من يتدبر القرآن كقرآن، مهما اختلفت العقول في إدراك مداها، ولكنها ككلّ تدرك تماماً أنها في تناسق وتوافق تام ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾.

ولا اختلاف في القرآن لا قليلاً ولا كثيراً، وطبيعة الحال في مَن سوى

الله أياً كان هي التدرُّج في الكمال وعدم الحيطة المطلقة على الحقائق على أية حال.

فالقرآن النازل طيلة الحياة الرسولية في مختلف الحالات الحرجة والمجالات المرجة، في العهد المكي المتضيق والعهد المدني الرفيق، ثم منذ الفتح، ولا يوجد في آية أي اختلاف في قمة الفصاحة والبلاغة، ولا في المعاني المرادة، ولا بينها وبين الحق الواقع، ولا الفطرة ولا العقلية الصالحة غير المزيجة ولا المريجة.

ذلك الكتاب لا ريب فيه أنه من رب العالمين، فكما الشمس هي دالة بنفسها على نفسها بإشراقها، كذلك شموس الآيات القرآنية هي بأنفسها براهين ساطعة على أنها ربانية المصدر والصدور، دون أي تدخل لأية عقلية خلقية[١].

وهنالك آيات مع هذه تأمرنا بالتدبر في القرآن حقه، فتاركه مقْفل القلب مغفّل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٢] - ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٣].

فالقلب المتدبر واللب المتذكر هما اللذان يتدبران القرآن، وإن القلوب أوعية فخيرها أوعاها، ولا يتحدد القرآن بمعارفه الجمة بسذاجة الأفكار، فإنما لكل قلب قدر وعيه.

والتدبر تفعُّل من الدَّبْر، وهو في القرآن جعلُ كلِّ آية دَبْر نظيرتها ودَبْرَ ما حوتها، كما هي دَبْر التفكر الصالح فيها، ليحصل من هذه الثلاث حق

(١) راجع تفصيل ظاهرة عدم الاختلاف تحت عنوان «عدم الاختلاف فيه» في ج ١ ص ٢٣٦ - ٢٤٠ من الفرقان.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٤.
(٣) سورة ص، الآية: ٢٩.

المعنى وواقع المغزى من كلّ آية آية، حيث «الكتاب يصدق بعضه بعضاً وأنه لا اختلاف فيه»[١].

وتدبُّر ثان هو تواتر التفكر في القرآن بعد ذلك التدبر الثلاثي، تحللاً عن إصر كلّ أسر من أفكار سابقة حاصلة من غير القرآن، بنظرة تجردية تعني استنباط مرادات الله تعالى دونما تحميل لعالقة الآراء.

و﴿ٱخۡتِلَٰفٗا﴾ بصيغة طليقة دون متعلَّق خاص مما يستغرق السلب في أصل الاختلاف، فهو ﴿ٱخۡتِلَٰفٗا﴾ «من والى»: بداية ونهاية في الكمال، أن يأتي كلّ كمال منه بعد نقص وكل أكمل منه بعد كامل، فلا تجد فيه سنة التكامل بأسره.

و﴿ٱخۡتِلَٰفٗا﴾ (في) آياته مع بعضها البعض في بلاغه العبارة وفصاحة التعبير، أن يبدو فيها القمم والسفوح والتوفيق والتعثُّر والتحليق والهبوط والرفرفة والثقلة، والإشراف والانطفاء.

و﴿ٱخۡتِلَٰفٗا﴾ (عن) حاق الحق الثابت الذي لا حِوَل عنه، وعن الواقع والصالح لحيوية المكلفين كأكملها، وعن قضية الفطرة السليمة والعقلية غير الدخيلة، وعن متطلّبات كلّ زمن إلى آخر زمن التكليف.

و﴿ٱخۡتِلَٰفٗا﴾ فيها «بين» السنن المسرودة فيه بتضاد أو تناقص أو تناقض، بل هو الالتيام والالتحام التام بكل وفق ووئام.

فمادة الاختلاف بأي معنىً كان وفي أي حقل من حقوله مسلوب عن القرآن بصورة مستغرقة طليقة.

وسلبية واحدة من هذه الاختلافات هي مستحيلة بالنسبة لما كان من عند

---

(١) نور الثقلين ١: ٥٢٢ في نهج البلاغة قال: وذكر أن الكتاب.. فقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النّساء: ٨٢].

غير الله مهما كان من أعلم العباقرة في أي حقل من حقول العلم والمعرفة، فضلاً عن السلبية الطليقة.

ومهما كانت الأنظار والأفكار في تفهُّم معاني القرآن درجات، ولكنها تلتقي في أظهر المظاهر القرآنية وهي ظاهرة عدم الاختلاف فيه لو أعطوا التدبر فيه حقه.

وكل ما يخيِّل إلى القاصرين أو المقصرين بحق القرآن من تهافت واختلاف، إنه يذبل ويزول بالنظر السليم إلى القرآن نفسه دون حاجة إلى توجيهات خارجية وتكلفات.

ذلك مع أن القرآن ناظر إلى كافة الحقائق جلية وخفية، وعلى ضوء تقدم العلم نراه لا اختلاف فيه بين هذه الحقائق ولا قيد شعرة، مما لا يستطيع على طرف منها أي عبقري!.

و﴿ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ هو لزام كلام غير الله، فالقيد توضيحي وليس احترازياً يعني أن في القرآن اختلافاً قليلاً، كلا لا قليلاً ولا جليلاً، مما يؤكِّد ربانيته، دون أي احتمال لتدخّل العلم غير الرباني في إصداره.

وكما الفارق بين صنع الله وصنع من سواه بيِّن كالشمس في رابعة النهار، كذلك الفرق بين كلامه المتحدّى به وكلام الخلق، والقرآن متحدٍّ بكل أبعاده لفظياً ومعنوياً كلّ كتابات الأرض من عباقرة الكتاب النوابغ، ولم يأت حتى الآن ولن، من يسامي كلامهُ كلامَه، أو يستطيع انتقاضه أو انتقاصه في أدب اللفظ أو حدب المعنى.

وحقاً إنه لا نجد مظهراً من مظاهر التكوين والتدوين في الكائنات كلها، يظهر فيه ساطع الربوبية الإلهية كمثل المظهر القرآني العظيم، فلا يساوى ولا يسامى في أية ظاهرة من آيات الله على مدار الكون بأسره - لا

تكوينياً ولا تشريعياً - فلا دليل على ربانيته الوحيدة غير الوهيدة كمثل القرآن، وقد عرّف نفسه بأنه شهادة قمة تدل على الله لأنه أنزل بعلم الله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾[1] ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[2]: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[3] - ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[4].

وهكذا نسمع ربنا يجعل القرآن شهادة على ربانيته كأفضل شهيد، وكأنه هو تعالى يشهد بنفسه المقدسة عند خلقه، وفي الحق لو أن الله ظهر بذاته لخلقه ما كان أظهر مما أظهر ربانيته بقرآنه المجيد وفرقانه الحميد.

ذلك، وعلى ضوء الدلالة القرآنية على الربوبية، هو دليل قاطع على الرسالة المحمدية كأفضل وأدوم الآيات القاصعة الناصعة على هذه الرسالة السامية، وكما يقسم بحكمة القرآن الحكيمة عليها: ﴿يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾[5].

إذاً فالقرآن هو نور الأنوار، وكفى به شاهداً ودليلاً على كلّ ما أراد الله أن يقوله للمكلفين من عباده، دون حاجة إلى شاهد آخر يشهد معه، بل فيه

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٩، ٢٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٦.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٤٣.
(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٨.
(٥) سورة يس، الآيات: ١-٤.

الكفاية الوافية: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾[1].

ذلك! فهل ترى بعدُ أن القرآن غير مفهوم إلّا أن يفهِّمه المعصوم نبياً أو إماماً، ولا تفهم النبوة وسائر العصمة إلّا به؟ فالمدلولات اللفظية القرآنية لائحة لكل من عرف اللغة، مهما كانت الإشارات واللطائف والحقائق ومنها التأويلات بحاجة إلى معدات أخرى ليست هي لكل من أَتْقَنَ اللغة.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾:

تنديدة أخرى بالمجاهيل من المسلمين وجاه التكتيكات الحربية أنهم إذاعة فإضاعة بالنسبة لأمر من الأمن أو الخوف، من الأسرار التي لا تذاع إلّا بأمر من الرسول كقيادة عليا، وأولي الأمر منهم كقيادات جزئية مقررة من القائد الأعلى.

ذلك وبصورة عامة إذاعة الأسرار فردية وجماعية محظورة في شرعة الله[2] اللّهم إلّا باستنباط الصالح أو الأصلح في أية إذاعة، هما راجعان إلى أولي أمرها المخصوصين بها.

صحيح أن مورد الآية هو إذاعة أمرٍ من الأمن أو الخوف، ولكنها

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٥١، ٥٢.

(٢) نور الثقلين ١: ٥٢٢ في أصول الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: إن الله عزوجل عيّر أقواماً بالإذاعة في قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ...﴾ فإياكم والإذاعة.

بصورة عامة تحذيرة عن أية إذاعة، وإرجاع في الأمور المشتبه فيها إلى الرسول والى أولي الأمر الذين افترض الله طاعتهم، وهم - ككل - الذين وُلوا الأمر أو أمراً من أمور الشرعة من ناحية الرسول وأفضلهم المعصومون من خلفائه ﷺ (١).

وهنا ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ قد تعني الرادين إلى الرسول وإلى أولي الأمر فإنهم هم المستنبطون الأمر المختلف فيه من إذاعة أمر وسواها، ولا يحصل لهم علم إلّا بذلك الرد.

وقد تعني معهم الرسول وأولي الأمر، ولكن ﴿مِنْهُمْ﴾ المبعضة تجعل البعض منهم غير عالم بالاستنباط، وهم - مع الرسول ﷺ - أحرى بالاستنباط، بل والمعصومون لا يستنبطون فإنهم على علم بما علمهم الله،

(١) نور الثقلين ١: ٥٢٢ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى محمد بن الفضيل عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام حديث طويل يقول فيه: ومن وضع ولاية الله وأهل الاستنباط علم الله في غير أهل الصفوة من بيوتات الأنبياء فقد خالف أمر الله عزوجل وجعل الجهال ولاة أمر الله والمتكلفين بغير هدى وزعموا أنهم أهل الاستنباط علم الله فقد فضلوا وأضلوا أتباعهم فلا يكون لهم يوم القيامة حجَّة، وقال أيضاً - بعد أن قرأ: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩] «فإن يكفر بها أمتك فقد وكّلنا أهل بيتك بالإيمان الذي أرسلتك به فلا يكفرون بها أبداً ولا أضيع الإيمان الذي أرسلتك به وجعلت أهل بيتك بعدك علماً على أمتك وولاة من بعدك واستنباط علمي الذي ليس فيه كذب ولا إثم ولا زور ولا بطر ولا رياء.

وفيه في تفسير العياشي عن عبد الله بن جندب أنه كتب إليه أبو الحسن الرضا عليه السلام كتاباً يذكر فيه: اقرأ ما سنح لهم الشيطان اغترهم بالشبهة ولبس عليهم أمر دينهم، وفيه: بل كان الفرض عليهم والواجب لهم من ذلك الوقوف عند التحير وردِّ ما جهلوه من ذلك إلى عالمه ومستنبطه لأن الله يقول في محكم كتابه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النّساء: ٨٣] يعني آل محمد ﷺ وهم الذين يستنبطون منهم القرآن ويعرفون الحلال والحرام وهم الحجَّة لله على خلقه.

وفي ملحقات إحقاق الحق ٣: ٥٤٢ في الآية عن الشعبي عن ابن عباس في تفسير مجاهد أن الآية نزلت في علي حين استخلفه في مدينة النبي ﷺ، وفي ابانة الفلكي أنها نزلت حين شكا أبو بردة من علي كما في غاية المرام ٤٣٣.

و«لعلمه» لمحة إلى الجهل قبل الاستنباط، اللهم إلّا أن يعم الاستنباط بالوحي والإلهام.

أو تعني كلّ مستنبط للأمر المختلف فيه راداً ومردوداً إليه، حيث ﴿مِنۡهُمۡۗ﴾ تشملهما، فمن المسلمين من لا يعني أي استنباط، ومنهم من يستنبط بالوحي كما الرسول ﷺ أو بالإلهام كالأئمة من آل الرسول عليهم السلام أو بالكتاب والسنة كأولي الأمر غير المعصومين، وهؤلاء الثلاث هم المردود إليهم.

ثم الرادون إلى الرسول وأولي الأمر منهم يستنبطون الأمر بواسطتهم أولاء الأكارم.

فاستنباط الأمر المجهول في شرعة الله واجب المؤمن قضية المعرفة الإيمانية وتطبيق الواجب، وهو في الدرجة الأولى على الرسول ﷺ والمعصومين من عترته عليهم السلام، ثم على الرعيل الأعلى من العلماء المؤمنين زمن غيبة المعصومين عليهم السلام.

وعلى من لا يستطيع على الاستنباط الردُّ إليهم، وهو الرد إلى الكتاب والسنة بوسيط أولي أمر الشرعة ومدراء الشريعة: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾[1].

واستنباط أولي الأمر المعصومين هو استنباطٌ معصوم بما أراهم الله كما الرسول ﷺ ومن ثم يأتي استنباط غير المعصومين من أولي أمر الشرعة بدرجاتهم ودرجاته، وذلك في زمن الغيبة ليس إلّا ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾[2] فلا أمر في القيادة الزمنية والروحية إلّا بشورى بين أولي الأمر.

(١) سورة الزمر، الآيتان: ١٧، ١٨.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

والاستنباط هو طلب النبط وهو الماء المستنبَط في الأرض، محاولة للحصول عليه، وكذلك الأمر في كلّ الأمور الإسلامية التي هي حياة الأمة الإسلامية، لا بدّ لأولي الأمر استنباطها من الثقلين: كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فالأمور الظاهرة لا تُستنبط، فإنما الخفية هي التي تُستنبط بمصادرها الآهلة لها، وما من أمر تحتاج إليه الأمة إلّا وقد بينه في كتابه وسنة رسوله، وعقلية الكتاب والسنة على مَدار الشورى بين الرعيل الأعلى من الأمة الإسلامية زمن الغيبة، هي المرجع لكل وارد وشارد وكما تنطق بذلك متواتر الكتاب والسنة.

فـ ﴿أُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ هنا غير أولي الأمر في آية الطاعة المثلثة الطليقة، فهم هنا أعم من المعصومين عليهم السلام في زمنهم، ومن الرعيل الأعلى زمن الغيبة حيث ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، وذكر الرسول ﷺ هنا دون الله تذكير بأن الرد إليه هو الرد إلى الله، وإن الرد إلى الله وهو الرد إلى كتابه لا ينتج بيان كثير من جزئيات الأمور المختلف فيها، فإنما بيانه إلى الرسول الشارح لكتاب الله، المستنبط إياه ولا سيما في تأويلات الأحكام.

ومن الفوارق بين الفريقين من أولي الأمر واجب انتصاب الأولين بنص خاص، والآخرون هم المنطبق عليهم نصوص ولاية الأمر كزمن الغيبة.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منكم وقليلاً من الاتِّباع، ففضل الله ورحمته هما الفاصلان عنكم اتباع الشيطان عن بكرته.

ومما جاءهم من أمر الأمن انهزام المشركين في أحد في بداية الأمر فأذاعوه فسبّب تحلُّل الرماة عن قواعدهم المقررة، ومن أمر الخوف إذاعة قتل الرسول ﷺ حيث أضاعتهم جموع، وكذلك الدعاية المضادة الضالة في بدر الصغرى من قبل أبي سفيان حيث بسطت الخوف والدهشة بين

الناس كيلا يخرجوا إلى الحرب، ولم يسلم منها إلّا النبي ﷺ وقليل معه كالإمام علي عليه السلام ومن نحى نحوهما، وهكذا الأمر في كلّ إذاعة فيها إضاعة دونما استنباط صالح[١].

فـ ﴿قَلِيلًا﴾ هنا هو الرسول ﷺ والذين ظلوا معه محاربين، وما أثرت فيهم دعاية مضادة إلّا إيماناً: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[٢].

## كلام فذّ حول الاستنباط:

تفريع ﴿لَعَلِمَهُ﴾ على ﴿يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ دليل حجية العلم الحاصل بالاستنباط، شرطَ ألّا يتخطى مصدرُه الكتابَ والسنةَ القطعية، وهنا يتأيَّد عدم حجية الظن بصورة طليقة، فظاهر الكتاب - المستقر - فضلاً عن نصه، يفيد العلم، وكذلك السنة القطعية وهي الملائمة للكتاب أم - ولأقل تقدير - غير المخالفة له لا نصاً ولا ظاهراً مستقراً.

ذلك، فحتى إذا تردد المستنبط من الكتاب والسنة فالاحتياط الذي هو دوماً طريق النجاة علمٌ يحافظ على حكم الله.

ذلك ولأن تطبيق أحكام الله فرضٌ على المكلفين، فالعلم بها فرضٌ

---

(١) الدر المنثور ٢: ١٨٦ عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصا ويقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه ونزلت هذه الآية في ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ...﴾ [النّساء: ٨٣] فكنت أنا استنبطت هذا الأمر.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٧٣-١٧٥.